الخليج العربي ..... المجلد الثامن عشر ..... العدد ٣ - ٤ ١٩٨٦
..... مجلة علمية يصدرها مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة. الجمهورية العراقية .....

الصراع الروسي - البريطاني في ايران

عشية الحرب العالمية الاولى

الدكتور نوري عبد البخيت السامرائي
كلية الاداب - جامعة بغداد

اشتد اضطراب الوضع الدولي نتيجة لازدياد حدة التناقضات بين مجموعة الوفاق الودي من جهة والحلف الثلاثي من جهة اخرى*. وكانت الحرب البلقانية قد عمقت من حدة هذه التناقضات بين الكتلتين حتى ادت الى قيام الحرب العالمية الاولى.

وكان الصراع بين الاحتكارات البريطانية والالمانية له الدور الفعال في تعميق حدة هذه التناقضات اذ ادى الى اضعاف العلاقات بين انكلترا والمانيا وازدياد منافستها من اجل السيادة على العالم، مما ادى الى حدوث صراع دبلوماسي بينهما، وقد بدأ كل منهما يفتش عن حلفاء له ليعزز موقعه.

ولكن وجود الصراع الالماني - الانكليزي لايعني ان العلاقات بين الدول الاستعمارية الاخرى كانت حسنة، فهناك الصراع الفرنسي - الالماني، والروسي - الالماني، والروسي - النمساوي. وقد اشتد الصراع بين هذه المجاميع قبيل اندلاع

* يتألف الوفاق الودي من بريطانيا وروسيا وفرنسا. يضم الحلف الثلاثي: المانيا والنمسا والمجر وايطاليا.

شرارة الحرب العالمية الاولى، ولكن عند مقارنة تلك الصراعات بالصراع الانكليزي ـ الالماني فانها تأتي بالدرجة الثانية. وقد ادركت انكلترا انها تحتاج الى قوة عسكرية برية ضخمة في اوربا لتحطيم الماكنة الحربية الالمانية، ولما كان الجيش الفرنسي غير قادر على القيام بتلك المهمة فقد اتجهت الانظار نحو الجيش الروسي للقيام بها خاصة وان روسيا القيصرية كانت تتمتع بكثافة سكانية عالية اذ كان عدد نفوسها قبيل نشوب الحرب العالمية الاولى ٥و١٢٥ مليون نسمه. فقدمت دولتا الوفاق الودي ـ انكلترا وفرنسا ـ المساعدات والقروض السخية للسلطة القيصرية حتى بلغ مجموع هذه القروض للفترة ١٩٠٧ ـ ١٩١٤ (٤ر٤٧٣) مليون روبل، وكان ما قدمته انكلترا يعادل ثلاثة ارباع تلك القروض[1].

بدأت السلطة القيصرية منذ عام ١٩١٣ بفضل هذه القروض والمساعدات بمشاريع واسعة لاعادة تنظيم الجيش الروسي وكانت تخطط من اجل ان يتم انجاز ذلك في عام ١٩١٧، وبغض النظر عن عدم الكفاءة التكنيكية للجيش الروسي فقد اصبح في تعداد القوى الرئيسة في اوربا، فمنذ بداية عام ١٩١٣ بلغ تعداده كما يلي: عدد الجنرالات والضباط الحربيين ٤٢٣٧٠، الرتب الدنيا ٦٢٦ر١١٤٥[2]، كما قام تعاون بين البحرية البريطانية والروسية لاعادة بناء الاسطول الحربي الروسي في بحر البلطيق لمجابهة الخطر الالماني وحماية العاصمة بتروغراد، وجرت مشاورات بينهما لتأمين ذلك[3].

ان اضطراب الموقف الدولي وازدياد حدة التسلح وعدم امكانية الوقوف في وجه التحرشات الالمانية القوية ادى الى ازدياد الحاجة الى تقوية الوفاق الودي، الامر الذي كان يتطلب تحسين العلاقات الانكليزية ـ الروسية، لكن كان لايزال هناك تيار مناهض لهذا التقارب، سواء داخل روسيا او داخل انكلترا. وقد ذكر مراسل صحيفة «Raich» الروسية في لندن: ـ ان الرأي العام البريطاني لايؤيد التقارب الروسي ـ الانكليزي[4]. وكان العائق الاساسي الذي عرقل تقوية هذه العلاقات في تلك الفترة هو التنافس الحاد بين الدولتين في بلاد فارس والذي تفاقم الى درجة كبيرة قبيل اندلاع شرارة الحرب العالمية الاولى، حتى طرحت بعض التساؤلات، لماذا نشبت الحرب في عام ١٩١٤ بين روسيا والمانيا ولم تنشب بين روسيا وانكلترا.

1- The Economist, 20 VII - 1907, 20 - VI - 1914, p 1486.

٢ ـ وثائق الارشيف الحربي التاريخي الرسمي ـ موسكو، القسم I مجموعة 11 وثيقة I ورقة ١٧٣.

3 - British Documents on the origins of the war stationery office 1934, Gooch Vol VIII No 652

4. Raich - 30 - III - 1914

وكان للصراع الروسي ـ الانكليزي في بلاد فارس الدور المباشر في تقويض فرص التعامل بين الدولتين واضعاف الوفاق الودي بوجه تحديات دول الحلف الثلاثي. لقد اشتد الصراع الروسي ـ الانكليزي قبيل اندلاع الحرب العالمية الاولى، ولكنه كان باسلوب خفي جدا، وكان من اكثر الجماعات السياسية تشددا ضد روسيا هي تلك التي حصلت على امتيازات اقتصادية في الهند وبلاد فارس، وقد استمر كثير من المسؤولين الانكليز في نظرتهم الى روسيا على اساس انها العدو الرئيسي للامبراطورية البريطانية حتى عام ١٩١٤ على الرغم من عمق التناقضات الروسية ـ الالمانية، ويوضح هذا الاتجاه احد التقارير التي بعث بها احد ممثلي روسيا في الهند في ١٨ تموز عام ١٩١٣، حيث جاء فيه: يسود الاعتقاد في وسط الحكام الانكليز في الهند ان الاصطدام مع روسيا امر لامناص منه آجلا او عاجلا، حيث تثير مدرسة اللورد كرزن هنا، اي في الهند، الضجة دائما، وان الكل متفقون بان الخطر الاول الذي يهدد الهند هو روسيا[٥].

ان المعاهدة الروسية ـ الانكليزية لعام ١٩٠٧* والتي قسمت فارس الى منطقتي نفوذ انكليزيه وروسية خففت التناقضات بين الدولتين وساعدت على قيام الوفاق الودي بين انكلترا وفرنسا وروسيا، ولكنها لم تقض على تلك التناقضات بصورة تامة. وكان الاتفاق بين لندن وبتروغراد في عام ١٩٠٧ ضربة قوية لسيادة فارس، وقد جوبه بمعارضة شديدة من جانب الشعوب الايرانية وتحول الى عامل اضافي مهم في تعميق احداث الثورة الدستورية (١٩٠٥ ـ ١٩١١) والتي عرقلت تنفيذ كل المعاهدات والاتفاقيات التي عقدتها حكومة طهران مع الدول الاوربية، لذلك لم يتم اعتراف حكومة الشاه باتفاقية عام ١٩٠٧ الا في عام ١٩١٢ بعد ان تم تحطيم تلك الثورة.

وكان للجيش الروسي دور بارز في تحطيم تلك الثورة وقد ايدت الدبلوماسية الانكليزية ذلك الاجراء، وعلى هذا الاساس فان السلطة القيصرية كانت تعمل في الشرق الاوسط بمثابة درك لكي تحافظ على مصالحها الاقتصادية[٦].

---

* تم تقسيم ايران الى ثلاث مناطق، القسم الشمالي ويكون منطقة نفوذ روسية وتحدد هذه المنطقة بالخط الممتد من قصر شيرين حتى اصفهان ثم (ذو القفار) وهي نقطة التقاء الحدود الروسية والافغانية والايرانية. اما القسم الجنوبي الشرقي فيكون منطقة نفوذ انكليزية ويحدده الخط الممتد من حدود افغانستان ثم كرمان حتى ميناء بندر عباس على ساحل الخليج العربي اما الوسط فيكون منطقة محايدة.

٥ ـ وثائق الارشيف الخربي التاريخي الروسي: القسم I وثيقة ٩٣، ورقة ١٣٩.

٦ ـ لينين ـ المؤلفات الكاملة حـ ١٧ موسكو ١٩٤٥ ص ٤٥٤.

ان تحطيم الثورة الايرانية بالقوة يعني ان السلطة القيصرية اوجدت ظرفا ملائما جدا لتزايد نشاط الصناع والتجار الروس في بلاد فارس حتى ارتفعت نسبة نصيب روسيا في تجارة فارس الخارجية فوصلت الى الضعف في السنين التي سبقت قيام الحرب العالمية الاولى، فقد اعلنت صحيفة «Novaua Vremia» الصادرة في بتروغراد في عام ١٩١٣ ان نصيب روسيا من مجموع تجارة فارس الخارجية بلغ ٧و٦٢٪ وانكلترا ٢٠٪ والدولة العثمانية ٦٪ والمانيا ٤و٢٪[٧]. وفي الفترة الممتدة ما بين ١٩١٣ ـ ١٩١٤ سيطرت روسيا على ٦٨٪ من مجموع واردات فارس وعلى ٥٥٪ من مجموع صادراتها وما بقي من نسبة كان من نصيب انكلترا وبقية الدول الاوربية[٨].

لقد سببت هذه النجاحات التجارية لروسيا في اسواق فارس قلق كبير في الدوائر الصناعية والتجارية الانكليزية، فاتخذت السلطات البريطانية موقف المدافع عن مصالح رعاياها الاقتصادية ضد المنافسة الروسية. فجاءت محاولاتها الرامية الى تقوية نفوذها في فارس وافغانستان والتبت ومطالبتها الملحة في عام ١٩١٤ لاعادة النظر في معاهدة ١٩٠٧ من اجل الحصول على الاعتراف الروسي في الاشراف البريطاني التام والحقيقي على التبت. لكن السلطة القيصرية بدورها كانت تحاول الحصول من حليفتها انكلترا على تنازلات ملموسة في بلاد فارس.

توضح ذلك الوثائق الكثيرة الخاصة بوزارة الخارجية الروسية والتي تتطرق الى شؤون بلاد فارس منذ ٥ اذار عام ١٩١٤ والتي كشفت طموحات روسيا، فمنها مطالبة انكلترا بعدم عرقلة محاولات روسيا في تقوية استقلال مقاطعة اذربيجان عن حكومة طهران ثم خضوعها للاشراف الروسي وان يلحق بها مدن: جيلان ومازندان واستراباد، ثم موافقة انكلترا على سيطرة روسيا على شبكة طرق المواصلات الواقعة في الاقاليم الشرقية من بلاد فارس والتي تقع بعضها ضمن منطقة النفوذ الانكليزي حسب ما جاء في معاهدة ١٩٠٧، وكذلك موافقتها على زيادة عدد افراد فرقة القوزاق لتكون قوة ضاربة، ثم الحصول على منفذ تجاري على سواحل الخليج العربي[٩].

يمثل مضمون هذه الوثائق المنهج التوسعي لروسيا القيصرية في بلاد فارس في المستقبل، وفي حالة تنفيذ هذه الطموحات فان بلاد فارس كانت تتحول الى مقاطعة روسية، وهذا ما كان يرضي الحكام الانكليز الذين وقفوا بكل جدية في وجه

---

7. Novaua Vremia 1-1 - 1914 ،

٨ ـ النشرة السنوية لاخبار المال والصناعة والتجارة، المجلد الخامس جـ ١ ١٩١٥ بتروغراد ص ١٦٩.

٩ ـ العلاقات الدولية في مرحلة الاستعمار جـ ١ رقم ٣٨٤.

طموحات حكومة بتروغراد، فسيطر الخوف والهلع على وزير خارجية انكلترا ادوارد غراي فكتب الى بيوكينين سفير انكلترا في بتروغراد: اصبح من الواضح ان الروس يعملون من اجل تقوية نفوذهم في المنطقة المحايدة*. في بلاد فارس في الوقت الذي لانعمل نحن من اجل ذلك[١٠].

وعلى هذا الاساس فان فرصة التطلع لاتفاق جديد بين روسيا وانكلترا بالنسبة لبلاد فارس كان مصيرها الفشل في تلك المرحلة، ونتيجة لذلك اشتد الصراع العنيف مجددا بين الرأسمال الروسي ومنافسه البريطاني في تلك البلاد، وفي هذا الصراع القوي اتبع كل جانب طرقه واساليبه الخاصة لاحكام سيطرته، فاعتمد الجانب الانكليزي على تفوقه الاقتصادي على روسيا القيصرية، حتى بلغ مجموع رؤوس الاموال الانكليزية العاملة في فارس ٩ر٦ مليون جنيه استرليني قبيل نشوب الحرب العالمية الاولى[١١].

ومما ساعد بصورة فعالة على تقوية النفوذ البريطاني في بلاد فارس هو البنك الشاهنشاهي الذي تم تأسيسه عام ١٨٨٩ برؤوس اموال انكليزية ومنح صلاحيات واسعة في توظيف رؤوس الاموال وفتح المعامل والمصانع وتأسيس الشركات واصدار العملات المعدنية وتنظيم مسألة النقد الاجنبي[١٢]. وكان له فروع متعددة اشهرها في مدن: تبريز ورشت ومشهد ويزد واصفهان وشيراز وبوشهر وامتاز هذا البنك بتفوقه بدرجة كبيرة على بنك الخصم الروسي الذي تم تأسيسه في عام ١٨٩٠ والذي كان يملك اربعة عشر فرعا في المدن الايرانية الكبيرة مثل تبريز ورشت ومشهد وانزلي وسجستان. وبالنسبة لنجاحات البنك الشاهنشاهي فقد ذكرت صحيفة «Novaua Vremia» الروسية: ان من اسباب الصراع في فارس بين البنك الروسي والبريطاني هو رغبة كل منهما في فرض سيطرته على دار سك العملة المعدنية في طهران، وعلى الرغم من تفوق التجارة الروسية وانتشارها في بلاد فارس فلم يتمكن البنك الروسي من ان يحقق له المكانة الاولى في البلاد فكان في موقعه كأي بنك اخر من البنوك المنافسة له في بلاد فارس[١٣]. ومنذ بداية عام ١٩١٤ بدأ البنك الشاهنشاهي في تنفيذ امتياز سك العملة المعدنية في طهران على اساس انها العملة الرسمية لكل بلاد فارس، وقد احتجت السلطة القيصرية بكل حزم ضد

---

* هي المناطق الوسطى من بلاد فارس والواقعة بين منطقة النفوذ الروسي في الشمال والنفوذ البريطاني في الجنوب الشرقي وفقا لما جاء في معاهدة ١٩٠٧.

10 - British Documents Vol 10 No 535 -

11 - The Economist VI. L 1889 -

١٢ - مجموعة من المؤرخين السوفييت، التاريخ الحديث لبلدان اسيا وافريقيا - ليننغراد ١٩٧١ ص ٤٢٠.

13 - Novaua - Vremia 1-1-1914.

اعمال البنك الشاهنشاهي ونشاطاته وانتشار نفوذه ولكن دون جدوى. كما تعرضت هذه الخطوة الجديدة التي اقدم عليها البنك الشاهنشاهي الى انتقادات حادة من جانب الصحافة الروسية. فقد كتبت صحيفة «Novaua Vremia» الصادرة في بتروغراد قائلة: يعتبر هذا الاجراء دليلا جديدا اخر على عدم التفهم التام من جانب الدبلوماسية البريطانية للمصالح الروسية الحيوية في منطقة النفوذ الروسي في بلاد فارس، ويعتبر هذا العمل خرقا صريحا لابسط القواعد والاداب من جانب البنك البريطاني، وان سكه لتلك العملة يعتبر عملا غير قانوني وتعتبر العملة ذاتها غير قانونية او شرعية، ويقصد من وراء العملية الاستيلاء على العملة المعدنية وهذا ما يوجه ضربة قوية للتجارة الروسية[١٥].

واضافة الى الاجراءات المالية فان الحكومة البريطانية وبمساعدة وكلائها في طهران عملت بكل جهدها لكي لاتسمح للرعايا الروس الحصول على امتيازات جديدة في بلاد فارس وادت هذه الاعمال الى ظهور موجة من السخط وعدم الارتياح في الاوساط الحاكمة في بتروغراد. فقد كتب السفير الروسي في طهران تقريرا الى وزير الخارجية سازانوف في نيسان ١٩١٤ اشار فيه الى ان البريطانيين يزاولون نشاطا سريا في وسط حكام طهران لعرقلة حصول الرعايا الروس على امتياز استخراج المعادن في منطقة زنجان، لذلك طلب من حكومته تقديم كافة المساعدات الممكنة والتسهيلات للصناعيين والتجار الروس من اجل احتلال مواقع جديدة في تلك البلاد[١٦].

وهناك بعض الاختلافات بين اساليب المستعمرين الروس واساليب المستعمرين الانكليز والتي اتبعها كل منهما للسيطرة على بلاد فارس. فقد اتبع الانكليز الاسلوب المالي لاستعباد فارس واضعاف المنافسة الروسية، فمنذ عام ١٩١١ - ١٩١٤ بلغ مجموع القروض التي قدمتها الحكومة البريطانية الى حكومة الشاه مليون جنيه استرليني وكان معظم هذه القروض تم تقديمها عن طريق البنك الشاهنشاهي[١٧].

اما السلطة القيصرية فهي لم تمتلك القدرات المادية لمنافسة انكلترا فالتجأت الى اسلوب استعمال القوة بصورة علنية لاحكام سيطرتها على بلاد فارس[١٧]. وابرز مثال على ذلك تعاون الجيش الروسي للقضاء على ثورة ١٩٠٥ ـ ١٩١١ في فارس، يضاف الى ذلك اتباع روسيا اسلوب شراء الاراضي الواسعة في شمال بلاد فارس

---

14 - Ibid 21 - II - 1914 .

١٥ ـ العلاقات الدولية جـ ١ رقم ٣٣٣.

١٦ ـ ايفانوف ـ تاريخ ايران موسكو، ١٩٥٢ ص ٢٥٠.

١٧ ـ العلاقات الدولية جـ ١ رقم ٣٨٤.

وتوطين الروس فيها، وقد ورد ذكر ذلك دون تردد في الرسائل التي بعثت بها وزارة الخارجية الى سفارتها في طهران منذ الاول من شهر شباط ١٩١٤[١٨]. كما قام الملحقون العسكريون والدبلوماسيون الروس باعفاء الاقطاعيين الفرس من دفع الضرائب لخروجهم على اوامر الحكومة المركزية في طهران وتأييدهم لفكرة ضم شمال فارس الى الامبراطورية الروسية.

ادت هذه الاعمال والنشاطات التي قامت بها السلطة القيصرية الى اضعاف العلاقات الانكليزية ـ الروسية الى درجة كبيرة، لكن الحكومتين ـ الانكليزية والروسية ـ سلكتا طريق السلام من اجل التخفيف من حدة صراعهما في بلاد فارس امام تزايد قوة الماكنة الحربية الالمانية. فكتبت صحيفة (Raich) المعبرة عن وجهة نظر الليبراليين الروس من البرجوازيين والنبلاء متطلعة برغبتها في قيام علاقة الصداقة بين انكلترا والعمل باسلوب الصداقة مع هذه الدولة في بلاد فارس يؤدي الى ضمان الحل السلمي لكافة المشاكل الملتهبة في بلاد فارس[١٩].

وفي الحقيقة فان المسؤولين الروس ابدوا اقل قدر من التفاؤل بالنسبة لمستقبل العلاقات الانكليزية ـ الروسية في بلاد فارس. لكنهم في مايس من عام ١٩١٤ تكلموا عن امكانية تخفيف حدة التوتر في العلاقات بين الدولتين بشرط تقديم بعض التنازلات من جانب الحكومة الروسية، وبالنسبة الى هذا الاتجاه يمكن ملاحظة الرسائل التي بعث بها السفير الروسي في لندن بينكيندورف الى سازانوف منذ ٦ مايس ١٩١٤ والتي جاء فيها: يلاحظ وجود شيء من التحسن في العلاقات الانكليزية ـ الروسية في مجال العمل في بلاد فارس ولكنه ليس بالقدر الكافي، انني لاأتمكن ان اغض النظر عن الصعوبات التي لاتزال تحول دون البدء بمحادثات جدية مع انكلترا[٢٠]. وبعدها اقترح بينكيندورف القيام بمظاهرة دبلوماسية تترك حسب اعتقاده اثرا جديا على الرأي العام الانكليزي ودار الحديث حول سحب الجيش الروسي من مدينة قزوين في شمال فارس[٢١].

وعلى الرغم من انسحاب الجيش الروسي من مدينة قزوين فقد تعرضت العلاقات الانكليزية ـ الروسية في بلاد فارس الى انتكاسة جديدة منذ شهر حزيران ١٩١٤ حتى وصلت الى درجة تهدد بنسف المعاهدة الروسية ـ الانكليزية لعام ١٩٠٧، فقد برزت مشكلة جديدة وهي ان اعضاء البعثة البلجيكية العاملين خبراء

---

١٨ ـ المصدر نفسه جـ ١ رقم ٣٥٥.

19 - Raich , 24 / IV - 1914 .

٢٠ ـ العلاقات الدولية جـ ٢ رقم ٣٦٣.

٢١ ـ المصدر نفسه جـ ٢ رقم ٣٦٣.

ماليين لدى حكومة فارس استغلوا بصورة فعالة من جانب الوكلاء الانكليز في الصراع ضد النشاط التجاري الروسي في فارس، وقامت السلطة القيصرية بدورها في شمال فارس بمنع هؤلاء الخبراء من مزاولة مهمة جمع الضرائب من السكان المحليين واصبحت هذه العملية تحت اشراف القناصل الروس. فضلا عن ذلك فقد قامت الادارة الروسية في شمال فارس باعفاء الاقطاعيين الفرس المتعاطفين معها من دفع الضرائب.

لقد ادت هذه الاجراءات الروسية الى ايجاد حالة من عدم الارتياح في وسط رجال الصناعة والتجارة الانكليز الذين كانوا يزاولون نشاطا اقتصاديا هناك، وذلك ما زاد من قيام الشك وعدم الثقة بين الدولتين. ففي ٤ حزيران ١٩١٤ صرح ادوارد غراي وزير خارجية انكلترا للسفير الروسي في لندن: ان حقيقة ما يجري من امور في شمال فارس يمس مصالح حكومة فارس ويتعارض مع بنود اتفاقية عام ١٩٠٧[٢٢].

وبعد ذلك بايام قليلة بدأت الحكومة البريطانية بزيادة ضغوطها الدبلوماسية على حكومة بتروغراد، ففي برقية خاصة بعث بها ادوارد غراي الى سفير انكلترا في بتروغراد كرر فيها اتهاماته الموجهة للقناصل الروس في بلاد فارس لتعسفهم في جمع الضرائب واقصاء الموظفين والخبراء البلجيكيين، كما طلب منه مقابلة سازانوف وابلاغه ذلك، وان يؤكد له انه لايزال الحزبان السياسيان في انكلترا يؤيدان منهج الصداقة الروسية ـ الانكليزية، ولكن اذا استمرت الادارة الروسية في بلاد فارس على نشاطاتها في المجال المذكور فان ذلك مرفوض من قبل ادوارد غراي ولايمكن السكوت عنه[٢٣].

وحول تحليل الموقف الصعب في بلاد فارس فان السفير الانكليزي في بتروغراد نصح ادوارد غراي في جوابه على برقيته الاخيرة بوجوب تحقيق اتفاق واضح مع السلطة القيصرية حول المنطقة المحايدة، ثم يعلن السفير صراحة: في حالة عدم اقدامنا على عقد اتفاق واضح مع روسيا حول مسألة احترام الحقوق المتبادلة في المنطقة المحايدة سوف تنتظرنا المشاكل الكثيرة فيها [٢٤].

وفي الوقت نفسه وقع السفير الروسي في لندن تحت تأثير ادوارد غراي حول المسألة الفارسية عندما اقترح على سازانوف بكل جدية ضرورة منح انكلترا بعض

---

٢٢ ـ المصدر نفسه: جـ ٣ رقم ١٥٨.

٢٣ ـ المصدر نفسه. جـ ٣ رقم ١٥٩.

٢٤ ـ 24 - British Documents Vol 10, No 559.

التنازلات لان الصراع الشديد بينهما في فارس لايساعد على قيام محادثات بين الدولتين حول توقيع اتفاق حربي بحري بينهما بل انه يجعل ذلك امرا غير ممكن. لذلك فقد ارسل الى بتروغراد في ٩ حزيران عام ١٩١٤ برقية طالب فيها وجوب تصحيح الموقف في بلاد فارس بالسرعة الممكنة وبوسائل فعالة وسريعة، فقد جاء في برقية بينكيندورف: ان الصعوبات الراهنة تعتبر اكثر جدية من جميع المشاكل التي ظهرت بيننا وبين انكلترا في بلاد فارس، لذلك فمن الواجب وضع اسس جديدة للتعامل مع انكلترا تعتبر الاساس لكل الاتفاقيات[٢٥].

وفي ١٠ حزيران عام ١٩١٤ قدمت وزارة الخارجية البريطانية مذكرة الى السفارة الروسية في لندن تمثل وجهة نظر الحكومة البريطانية حول الموقف في بلاد فارس، فقد جاء في المذكرة: ان الحاكم الفارسي لمدينة تبريز اصبح غير مستقل لانه اصبح تحت التأثير المطلق للقنصل الروسي الذي يقدم له كل الاسناد في معارضته لحكومة طهران، وهو لايحسب اي حساب للحكومة المركزية في طهران ويتخذ دائما مواقف ضدها[٢٦]. ورغم ان الوثائق الرسمية تؤكد كثيرا ان الحكومة الروسية لم تحتل شمال فارس وانها غير عازمة على القيام بهذا العمل في المستقبل الا ان السلطات الادارية في هذا الاقليم قد انتقلت في الواقع الى ايدي الوكلاء الروس[٢٧]. وفي ختام المذكرة طالبت الحكومة البريطانية اعادة النظر في معاهدة ١٩٠٧ ومنح الصناع والتجار البريطانيين امتيازات اضافية واشارت الى تغير الموقف في بلاد فارس منذ توقيع معاهدة ١٩٠٧ بحيث اصبح يلحق ضررا كبيرا بالتجارة الانكليزية وبمصالح انكلترا في هذه البلاد[٢٨].

بعد ان تسلم بينكيندروف ـ سفير روسيا في لندن ـ المذكرة الانكليزية المذكورة اعلاه اصبح في حالة قلق شديد وابرق في ١١ حزيران عام ١٩١٤ الى حكومته برقية اكد فيها استعداد ادوارد غراي لتقديم بعض التنازلات في سبيل الحفاظ على الصداقة الروسية، ولكن هناك بعض التغييرات التي حدثت بالنسبة لمشكلة فارس والتي لايمكن ان يتخطاها او يسكت عنها[٢٩]. وقد انضم الملك جورج الخامس الى حملة التهويل والفزع من السياسة الروسية في بلاد فارس، فقد بعث برسالة خاصة الى القيصر الروسي نيقولا الثاني عبر فيها عن أمانيه ومساندته لعلاقات الصداقة مع

---

٢٥ ـ العلاقات الدولية جـ ٣ رقم ١٨٨.

26 - British Documents Vol 10/No 257 .

27 - Ibid .

28 - Ibid .

٢٩ ـ العلاقات الدولية جـ ٣ رقم ٢٠٩.

الامبراطور الروسي وانه يجدوه الامل في ان الاحزاب السياسية البريطانية ستعمل كالعادة من اجل قيام اتفاق روسي ـ انكليزي، كما جاء فيها: وربما ستكون هناك مأساة كبيرة اذا ما حصل وان ادى الاتفـــــــاق الروســـــي ـ الانكليزي لعام ١٩٠٧ الى نتائج مفيدة لصالح احد الاطراف على حساب خسارة الطرف الثاني[٣٠].

يجب القول ان سازانوف كان يتفهم حقيقة ما يجري من مشاكل في بلاد فارس ولا يتفق مع السفير الروسي في لندن بينكيندروف في وجهة نظره، وقد اتضح ذلك في جوابه على برقيته الاخيرة اذ افصح عن اعتقاده في ان الانكليز يحاولون بمختلف الحجج اعادة النظر في اتفاقية عام ١٩٠٧ من اجل مصالحهم الخاصة[٣١]. لقد استمرت السلطة القيصرية على نهجها المعادي لمصالح انكلترا في بلاد فارس ولم تعر الاحتجاج البريطاني اهمية وقد بقي هذا الخط السياسي واضحا بالنسبة لروسيا القيصرية حتى نهاية شهر حزيران وبداية تموز من عام ١٩١٤ عندما اصبحت اوربا باسرها تنتظر بين لحظة واخرى قيام الحرب العالمية الاولى. ففي ١٢ تموز عام ١٩١٤ كتب رئيس دائرة الشرق الاوسط في وزارة الخارجية الروسية الى القنصل الروسي في مدينة استراباد يطلب منه ان يقدم كشفا سريعا بأسماء الاقطاعيين الذين يملكون اراضي غير مأهولة بالسكان في تلك المنطقة لكي يقوم البنك الروسي بشرائها. كما قام رئيس مؤسسة استثمار الاراضي في وزارة الزراعة الروسية بنقل وجهة نظر الحاكم العام لاقليم تركستان الروسي الى وزير الخارجية سازانوف بانه: يمكن ان يتم اخضاع منطقة شمال فارس بصورة تامة بطريقة امتلاك مساحات واسعة من الاراضي هناك، ومن اجل ذلك فقد اعرب الحاكم العام عن ضرورة مساعدة بنك الخصم الروسي لكي يقوم بشراء مساحات واسعة من الاراضي في المنطقة المذكورة وبعدها يتم بيعها على شكل قطع صغيرة للمهاجرين الروس وباقساط طويلة الامد، وحسب اعتقاد الحاكم العام لاقليم تركستان ان هذا الاجراء من شأنه ان يؤدي الى تحويل هذه الاراضي في المستقبل الى حيز من الامبراطورية الروسية [٣٢].

فبدأت الادارة الروسية في شمال فارس بشراء الاراضي، ورغم ما جوبهت به هذه السياسة من مقاومة حكومة طهران فقد استمرت روسيا في الشراء. وفي ٢٢ حزيران ارسل نائب القنصل الروسي في مدينة اورمية برقية الى وزير الخارجية سازانوف جاء فيها: تمكن مجموعة من الملاكين الروس من شراء مساحات من

---

٣٠ ـ المصدر نفسه جـ ٣ رقم ٢٧٢.

٣١ ـ المصدر نفسه جـ ٣ رقم ٣٤٣.

٣٢ ـ المصدر نفسه جـ ١٧ رقم ٢٤٠.

الاراضي من الاقطاعيين المحليين تزيد على مائة الف هكتار، وطلب تقديم السلف بصورة مستعجلة للملاكين الروس ليتسنى لهم دفع قيمة الاراضي التي اشتروها، وفي ختام البرقية ذكر نائب القنصل انه: سيكون حدث مهم وعظيم عندما تصبح مقاطعة اورمية تحت تصرفنا، ثم اكد على سازانوف ان يسارع في التدخل لمساندة الملاكين الروس ودعم مذكرتهم المقدمة لبنك الخصم الروسي في بتروغراد لمنحهم سلفة قدرها خمسون الف تومان بضمان اراضيهم[٣٣].

ان الاجراءات الاخيرة التي اقدمت عليها الادارة الروسية في شمال بلاد فارس ادت الى ازدياد الخوف والهلع في انكلترا، فقد طرح الكثير من التساؤلات في مجلس العموم البريطاني حول النشاط الروسي في بلاد فارس، كما ازداد اهتمام الصحافة الانكليزية بالموضوع، ومن الضروري ان نشير الى خطاب ادوارد غراي الذي القاه في مجلس العموم البريطاني حول سياسة انكلترا الخارجية بعد مصرع ولي عهد امبراطور النمسا والمجر فرانس فرد ينانند في ٢٨ حزيران ١٩١٤ في مدينة سيراييفو، فقد جاء في ذلك الخطاب: تكشف الحقائق الاخيرة عن تزايد النفوذ الروسي المطرد في بلاد فارس، لاسيما سيطرتهم على الدوائر والمؤسسات المدنية، وان تزايد النفوذ الروسي في المنطقة المحايدة مما يخلق ظرفا خاصا جديدا[٣٤].

كما جاء فيه: ان صعوبة الموقف في بلاد فارس جاءت نتيجة لنشاط القناصل الروس والهيئات الدبلوماسية الروسية وهم الذين يتحملون المسؤولية في خلق الظرف الجديد هناك، وليس السلطة المركزية في بتروغراد، ثم اوضح قائلا: منذ عهد قريب تمت تسوية عدد كبير من المشاكل مع الروس على اساس مبدأ الصداقة والمصلحة المتبادلة واتخذت القرارات المناسبة بالنسب لكافة المشاكل بصورة عامة[٣٥].

ان الحملة البريطانية الشديدة المناهضة لسياسة السلطة القيصرية في بلاد فارس، كان الهدف من ورائها تقوية مركز الاحتكارات الانكليزية والتي كانت في هذه المرحلة قد اتخذت خطوات حازمة من اجل توسيع نفوذها هناك، واهم هذه الخطوات انها ابتاعت اسهم شركة النفط الانكليزية ـ الفارسية في بداية حزيران عام ١٩١٤.

لقد بادرت السلطة القيصرية الى الاحتجاج على عملية الشراء ولكن لم تكن هناك اي اهمية لهذا الاحتجاج على اساس ان الامتياز قد تم الحصول عليه قبل عدة

---

٣٣ - المصدر نفسه جـ ١٧ رقم ٣٤٠.

34 - Navaua - Vremia - 1 - VII - 1914.

35 - Ibid.

سنين من توقيع معاهدة ١٩٠٧. كما ان المعاهدة لم تتطرق الى نشاطات واعمال الشركة المذكورة. ولكن شراء وزارة البحرية البريطانية هذه الاسهم قد الحق اضرارا جديدة بمصالح روسيا لان عملية الشراء اعطت للحكومة البريطانية امكانية استخراج النفط ليس في منطقة النفوذ الانكليزي والمنطقة المحايدة بل حتى في منطقة النفوذ الروسي، يضاف الى ذلك ان امتلاك الحكومة البريطانية اسهم الشركة كان يعني الاسراع في عملية استثمار النفط في بلاد فارس وهذا مما يوجه ضربة قوية لصادرات النفط الروسية للبلد المذكور. اذ ان قرب الاراضي الفارسية من مناطق النفط الروسي في القفقاس ساعد التجار الروس على توفير ماتحتاج اليه فارس من المنتجات النفطية، والدليل على الخسارة التي ستلحق بتجارة النفط الروسية مع بلاد فارس هو رسالة وزير المالية بارك الى وزير الخارجية سازانوف والتي جاء فيها: ان النفط الروسي لايتوزع في بلاد فارس عن طريق الشمال فحسب، بل عن طريق الخليج العربي ايضا بجهود شركات الملاحة الروسية وتجارتها مع موانيء: بوشهر والمحمرة والبصرة حيث كانت تصل شحنات النفط الروسية الى هناك. ففي عام ١٩١١ كان قد وصل الى تلك الموانيء ٢٨٨ر٢٧ پود* وفي عام ١٩١٢ ٨٥٠و٩٥ وفي عام ١٩١٣ ٠٠٠ر١٢٦ پود[٣٦] وكانت روسيا تخشى ما تتبع تلك الخطوة من نتائج سياسية، فقد كتبت صحيفة «Raich» الروسية في مقال لها تحت عنوان «روسيا وانكلترا في بلاد فارس» جاء فيه: ان تحول اسهم شركة النفط الانكليزية ـ الفارسية الى ممتلكات حكومية انكليزية ربما تكون شبيهة بمسألة شراء انكلترا لاسهم شركة قناة السويس عام ١٨٧٥ والتي بواسطتها احتلت انكلترا مصر عام ١٨٨٢.[٣٧]

ومما زاد من صعوبة الموقف بالنسبة لهذه المشكلة، ان قسما من الاراضي التي شملها امتياز الشركة التي اشترتها وزارة البحرية البريطانية كانت تقع في مناطق الحدود العثمانية ـ الفارسية والتي كان قد تم الاتفاق على ان تتنازل عنها حكومة فارس الى الدولة العثمانية قبل ذلك بوقت قصير.

ومن اجل الاسراع في عمليات الاستثمارات النفطية اضطرت الحكومة البريطانية الى الاتفاق مع البنك الالماني في برلين، وقد اعلنت ذلك صحيفة التايمس اللندنية في مقالها في ٢٤ حزيران عام ١٩١٤، منتقدة الحكومة على اتفاقها مع البنك الالماني

---

* البود: وحدة وزن روسي = ٣٦ رطلا مصريا او ١٦ر٣٨ كغم.

٣٦ ـ العلاقات الدولية جـ ٥ رقم ٢٧٢.

37 - Raich. 21 - VI - 1914.

دون علم مجلس العموم البريطاني، يضاف الى ذلك انه كان من المفروض تحديد درجة المساهمة في مجال الاستثمارات النفطية في بلاد مابين النهرين[38]. وفي اليوم التالي قامت صحيفة «Raich» الصادرة في العاصمة بتروغراد باعادة نشر مقالة التايمس مع التعليق الاتي عليها: ان الاجراءات النفطية الانكليزية في بلاد فارس تعتبر خرقا صريحا لمبدأ تكافؤ الفرص بين الانكليز والروس في ذلك البلد، كما ان التخطيط مع المانيا من اجل استثمار النفط في بلاد ما بين النهرين اثار في بتروغراد موجة من الامتعاض والقلق[39].

وفي ٢٩ حزيران ١٩١٤ انتقدت صحيفة «Novaua Vremia» الروسية تصريحات ادوارد غراي حول المسألة الفارسية وخاصة بالنسبة الى تلميحات الوزير البريطاني في ان روسيا لم تنفذ تعهداتها التي قطعتها على نفسها في معاهدة ١٩٠٧ في الوقت الذي التزمت فيه المملكة المتحدة بتعهداتها حفاظا على امانتها وشرفها، فقد علقت الصحيفة على ذلك: ان طرح المشكلة بهذا الاسلوب قد اقنع البرلمان البريطاني لكنه لايقنع الرأي العام الروسي، وان المصالح الروسية في بلاد فارس واسعة جدا ولايمكن السكوت عنها ولايمكن حصرها في المناطق الشمالية المقتصرة على منطقة النفوذ الروسي[40]. وقد قامت الحكومة البريطانية بالرد على مقالات الصحف الروسية. فقد ابرق ادوارد غراي الى السفير الانكليزي في بتروغراد بيوكينين ان يخبر سازانوف: ان مزاعم الصحافة الروسية واتهاماتها بان الاتفاقية النفطية تحطم الاتفاق الروسي ـ الانكليزي لعام ١٩٠٧ لاتعتمد على اي اساس وهي تدل على سوء الفهم والاخطاء لدى الصحافة الروسية [41]. لكن امتعاض الروس وخوفهم لاسيما الرأسماليين واصحاب المصانع والتجار دفع السلطة القيصرية الى مطالبة الحكومة البريطانية بتقديم توضيحات ملائمة من اجل تهدئة الرأي العام في روسيا[42]. اما حكام انكلترا فقد التجأوا الى اسلوب المناورات الدبلوماسية، فعند مناقشة مسألة شراء اسهم شركة النفط الانكليزية ـ الفارسية في مجلس العموم البريطاني، اعلن وزير البحرية المستر تشرشل: ان شراء اسهم شركة النفط الانكليزية ـ الفارسية يفسر بهدف استراتيجي استثنائي، لذلك ستبدأ الحكومة البريطانية عملية استثمار النفط في المناطق الواقعة بالقرب من سواحل الخليج العربي

38 - Times 24 - VI - 1914.

39 - Raich. 25 - VI - 1914.

40 - Novaua - Vremia. 29 - VI - 1914.

41 - Ibid.

٤٢ ـ العلاقات الدولية جـ ٤ رقم ١٠.

وخاصة في منطقة النفوذ البريطاني في جنوب فارس، وقد اكدت رسائل السفارة البريطانية في بتروغراد الموجهة الى سازانوف بتاريخ ٤ تموز ١٩١٤ والتي جاء فيها ان عملية استثمار النفط سوف لاتمتد الى منطقة النفوذ الروسي بل على العكس فان عملية الاستثمار لاسباب ستراتيجية ستكون في مناطق قريبة من سواحل الخليج العربي الواقعة ضمن منطقة النفوذ البريطاني[٤٣].

لم تقتنع السلطة القيصرية برسائل السفارة البريطانية في بتروغراد، فقد اصر سازانوف على وجوب الحصول على تعهد قاطع من الحكومة البريطانية بان عملية الاستثمارات النفطية سوف لاتشمل المنطقة المحايدة ولا منطقة النفوذ الروسي، ففي الجواب الذي بعث به سازانوف على برقية السفير الروسي في لندن دحض الحجج القانونية للحكام الانكليز في تأكيدهم على ان ليس هناك اي تغيير في الموقف في بلاد فارس طالما ان شركة النفط الانكليزية ـ الفارسية حصلت على الامتياز* قبل توقيع المعاهدة الروسية ـ الانكليزية لعام ١٩٠٧. كما اكد ان انتقال ملكية الشركة الى الحكومة البريطانية سوف يؤدي الى تغير جوهري وملموس في نشاطات الشركة واعمالها[٤٤].

ولم يقف سازانوف عند هذا الحد بل اقترح على الحكومة البريطانية الاتفاق مع روسيا للقيام بمشروع مشترك لاستثمار النفط في المنطقة المحايدة من بلاد فارس، كما طالب الحكومة البريطانية بان تصدر تصريحا ملائما بهذا المعنى لتهدأة الرأي العام داخل روسيا وانه يشكر الحكومة البريطانية اذا صدر عنها هذا التصريح في الوقت المناسب[٤٥].

وتحت ضغط الدبلوماسية الروسية القى ادوارد غراي خطابا مشهورا في مجلس العموم البريطاني اكد فيه ان العملية الجديدة للاستثمارات النفطية ستتم في المناطق الواقعة بالقرب من سواحل الخليج العربي ضمن منطقة النفوذ البريطاني. وفي ٣ تموز ١٩١٤ اخبر ادوارد غراي السفير الانكليزي في بتروغراد بيوكينين: طالما ان سازانوف يطلب من الحكومة البريطانية اصدار تصريح ملائم لاجل تهدئة الصحافة الروسية والرأي العام الروسي حول عملية شراء الحكومة البريطانية اسهم شركة النفط الانكليزية ـ الفارسية فيمكنك ان تخبره بانني لااعتبر مسألة شراء الحكومة البريطانية قسما من اسهم الشركة المذكورة يحتم علينا العمل في المنطقة المحايدة رغم

---

* يقصد بذلك امتياز المغامر الانكليزي دارسي في عام ١٩٠١.

٤٣ ـ المصدر نفسه جـ ٤ رقم ٧٥.

٤٤ ـ العلاقات الدولية في مرحلة الاستعمار جـ ٤ رقم ١٥٦.

٤٥ ـ المصدر نفسه.

اننا نرى ان بوسع اي شركة تجارية ان تقوم بذلك[٤٦]. كما طلب منه اخبار سازانوف: اذا ما كان يرى ان الحصول على الامتياز الاخير يتطلب العمل في المنطقة المحايدة وان معاهدة ١٩٠٧ لم تتطرق الى ذلك فنحن مستعدون لمناقشة هذه الحالة الجديدة مع الحكومة الروسية[٤٧].

ان التصدع في العلاقات الانكليزية ـ الروسية في صيف عام ١٩١٤ زاد من قلق الحكومة الفرنسية والتي كان يهمها تقوية الوفاق الودي فاعتبرت ان الاستمرار في الانهيار السريع في العلاقات الانكليزية ـ الروسية في فارس مما يهدد مستقبل الوفاق الودي، لذلك قرر المسؤولون الفرنسيون العمل كوسطاء للتخفيف من حدة التوتر بين روسيا وانكلترا وممارسة شيء من الضغط على السلطة القيصرية والتي استلمت الكثير من القروض والمساعدات من فرنسا. ففي اذار ١٩١٤ اقترح رئيس الجمهورية الفرنسية بوانكاريه ووزير خارجيته دوفيرغ على الحكومة الروسية استغلال فرصة زيارة الملك جورج الخامس وادوارد غراي الى باريس لاجراء محادثات معهما للتخفيف من حدة الخلافات بين الدولتين، وقد وافق سازانوف على الاقتراح الفرنسي لكنه اراد اجراء محادثات مباشرة بين لندن وبتروغراد دون الحاجة للوساطة الفرنسية.

ومع ذلك فقد استمرت الحكومة الفرنسية في نشاطاتها للتخفيف من حدة التناقضات الانكليزية ـ الروسية، فقد قرر الرئيس الفرنسي بوانكاريه القيام بزيارة العاصمة بتروغراد لاجراء محادثات مع القيصر نيقولا الثاني حول الموضوع وكان المقرر لهذه الزيارة ان تتم في ٢٠ تموز ١٩١٤.[٤٨]. وقد طلب السفير البريطاني في بتروغراد من حكومته تزويده بالكثير من المعلومات حول مواقفها من السياسة الروسية الجديدة في فارس لابلاغها الى الرئيس الفرنسي عند التقائه به في حفل الاستقبال الذي سيقام على شرفه في العاصمة بتروغراد[٤٩].

ان سرعة انهيار الموقف الدولي وقوة خطر التهديد المباشر للحرب لكل اوربا ادى الى ظهور تغير جوهري في موقف السلطة القيصرية. وبتأثير ضغط الرئيس الفرنسي

---

46 - British Documents vol. 10/No 558.

47 - Ibid Vol 10 No 558.

48 - Ibid Vol 11 / No 49.

49 - Ibid.

اعلن الامبراطور نيقولا الثاني: انه لن يسمح بتدهور العلاقات الانكليزية ـ الروسية بسبب بلاد فارس[٥٠].

واضافة الى ذلك فقد اعلن سازانوف ان القناصل الروس في فارس هم المسؤولون عن تصدع العلاقات الانكليزية ـ الروسية.

وبالنظر لنمو وازدياد خطر الاصطدام مع المانيا فان السلطة القيصرية اصبحت مستعدة للاقدام على بعض التنازلات في بلاد فارس لصالح انكلترا ففي ٢٣ تموز ١٩١٤ ابرق السفير البريطاني في بتروغراد الى حكومته: بدأ سازانوف بروح مسالمة لا نظير لها في معالجة المسألة الفارسية. وطالب السفير حكومته بان تأخذ بنظر الاعتبار طلب سازانوف الملح والمدعم من جانب فرنسا حول بناء شبكة السكك الحديدية في بلاد فارس. واوضح عن رغبة السلطة القيصرية الشديدة في البدء ببناء شبكة السكك الحديدية في شمال فارس والمنطقة المحايدة قبل الانتهاء من انجاز مشروع سكة حديد بغداد ـ برلين، واذا ماوافقت الحكومة البريطانية على ذلك فسيطرأ تحسن ملموس على موقف الروس من وجهة نظرنا وسياستنا في بلاد فارس من حيث المبدأ[٥١].

غير ان تطور الموقف الدولي وحاجة روسيا للدعم الانكليزي للوقوف في وجه الاستفزازات العلنية التي قامت بها امبراطورية النمسا والمجر ضد صربيا جعل الحكام الانكليز يرون انه ليس هناك حاجة لاقدامهم على تنازلات في صالح روسيا، فقد ارادت حكومة لندن ان تكون لها الامتيازات نفسها التي يتمتع بها الروس على شبكة السكك الحديدية عند مرورها بالمنطقة المحايدة[٥٢]. يضاف الى ذلك ان الحكومة البريطانية طلبت مساهمة رؤوس الاموال البريطانية في بناء شبكة الخطوط الحديدية هذه[٥٣]. وعلى الرغم من الموقف الانكليزي هذا فان السلطة القيصرية وكما اتضح ذلك من التقرير الذي قدمه سازانوف الى القيصر نيقولا الثاني في نهاية تموز عام ١٩١٤ كانت مستعدة للاقدام على بعض التنازلات لبريطانيا في بلاد فارس خاصة وان مشكلة شبه جزيرة البلقان احتلت في ذلك الوقت موقع الصدارة بالنسبة لروسيا واصبحت المشاكل الاخرى في المرتبة الثانية، ففي ٢٨ تموز ١٩١٤ قام الجيش النمساوي المجري بالهجوم على صربيا وفي ٣٠ تموز اعلنت السلطة القيصرية التعبئة العامة، وكما هو معلوم ففي تلك الفترة الحرجة من تاريخ

---

50 - Ibid Vol 11 No 75 .

51 - Abid vol 11, No 164 .

٥٢ ـ العلاقات الدولية في مرحلة الاستعمار جـ ٥ رقم ٢٧٢ .

٥٣ - المصدر نفسه

اننا نرى ان بوسع اي شركة تجارية ان تقوم بذلك[٤٦]. كما طلب منه اخبار سازانوف: اذا ما كان يرى ان الحصول على الامتياز الاخير يتطلب العمل في المنطقة المحايدة وان معاهدة ١٩٠٧ لم تتطرق الى ذلك فنحن مستعدون لمناقشة هذه الحالة الجديدة مع الحكومة الروسية[٤٧].

ان التصدع في العلاقات الانكليزية ـ الروسية في صيف عام ١٩١٤ زاد من قلق الحكومة الفرنسية والتي كان يهمها تقوية الوفاق الودي فاعتبرت ان الاستمرار في الانهيار السريع في العلاقات الانكليزية ـ الروسية في فارس مما يهدد مستقبل الوفاق الودي، لذلك قرر المسؤولون الفرنسيون العمل كوسطاء للتخفيف من حدة التوتر بين روسيا وانكلترا وممارسة شيء من الضغط على السلطة القيصرية والتي استلمت الكثير من القروض والمساعدات من فرنسا. ففي اذار ١٩١٤ اقترح رئيس الجمهورية الفرنسية بوانكاريه ووزير خارجيته دوفيرغ على الحكومة الروسية استغلال فرصة زيارة الملك جورج الخامس وادوارد غراي الى باريس لاجراء محادثات معهما للتخفيف من حدة الخلافات بين الدولتين، وقد وافق سازانوف على الاقتراح الفرنسي لكنه اراد اجراء محادثات مباشرة بين لندن وبتروغراد دون الحاجة للوساطة الفرنسية.

ومع ذلك فقد استمرت الحكومة الفرنسية في نشاطاتها للتخفيف من حدة التناقضات الانكليزية ـ الروسية، فقد قرر الرئيس الفرنسي بوانكاريه القيام بزيارة العاصمة بتروغراد لاجراء محادثات مع القيصر نيقولا الثاني حول الموضوع وكان المقرر لهذه الزيارة ان تتم في ٢٠ تموز ١٩١٤.[٤٨]. وقد طلب السفير البريطاني في بتروغراد من حكومته تزويده بالكثير من المعلومات حول مواقفها من السياسة الروسية الجديدة في فارس لابلاغها الى الرئيس الفرنسي عند التقائه به في حفل الاستقبال الذي سيقام على شرفه في العاصمة بتروغراد[٤٩].

ان سرعة انهيار الموقف الدولي وقوة خطر التهديد المباشر للحرب لكل اوربا ادى الى ظهور تغير جوهري في موقف السلطة القيصرية. وبتأثير ضغط الرئيس الفرنسي

---

46 - British Documents vol. 10/No 558.

47 - Ibid Vol 10 No 558.

48 - Ibid Vol 11 / No 49.

49 - Ibid.

اوربا حدث صراع بين الحكام الانكليز حول موقف الحكومة البريطانية من الحرب عند قيامها، وفي مثل هذا الموقف توصلت الدبلوماسية القيصرية الى ان من الضروري اتخاذ الوسائل كافة لتلافي بعض التصادم مع انكلترا حول مشكلة... بلاد فارس[٥٤].

ان الصراع الانكليزي ـ الروسي في بلاد فارس لم يكن بعيدا عن اهتمام دول استعمارية اخرى وفي مقدمتها المانيا، فقد عمل ممثلو الحكومة الالمانية بكل طاقاتهم وبكل مابوسعهم من اجل زيادة لهيب الصراع الروسي ـ الانكليزي وذلك لاضعاف كتلة الوفاق الودي. وتجدر الاشارة الى حديث الرأسمالي الالماني المشهور ياكوف مع السفير البريطاني في برلين، فقد حاول ياكوف بكل قوة اثارة سامعيه بقوله لو انه كان انكليزيا فسيكون غير مرتاح بل منزعجا جدا عندما يرى ان تجارة فارس اصبحت تحت سيطرة روسيا الى درجة كبيرة[٥٥].

وقد جاء في التقرير الذي بعث به السفير البريطاني في برلين الى لندن حول وجهات نظر المسؤولين الالمان: ولو ان ياكوف لم يقترح التنسيق بين السياسة الانكليزية والالمانية في فارس بصورة مباشرة الا انه حاول ذلك بدون شك[٥٦]. وفي الوقت نفسه استغلت الامبريالية الالمانية سيطرتها على الدولة العثمانية من اجل تقوية نفوذها في الشرق الاوسط خاصة وانها قررت وجوب بسط سيطرتها على المناطق والاقاليم التي تمر خلالها سكة حديد بغداد. كما ازداد نشاط التجارة الالمانية في بلاد فارس قبيل الحرب العالمية الاولى خاصة في الاقسام الشمالية وهذا مما ادى الى قيام الصحافة الروسية بشن هجوم عنيف على المانيا. ففي كانون ثاني عام ١٩١٤ كتبت صحيفة «Novaua Vremia»: لقد ازداد نشاط المانيا التجاري قوة في شمال فارس، كما ازداد نشاط الهيئات الدبلوماسية الالمانية في ذلك الاقليم وهذا ما يتنافى مع بنود اتفاقية بوتسدام* لعام ١٩١١ التي اصبحت حبرا على ورق[٥٧]..

---

* تعهدت روسيا بالكف عن معارضتها مشروع سكة حديد بغداد مقابل اعتراف المانيا بالمصالح الروسية في شمال بلاد فارس، وفقا لما جاء في معاهدة ١٩٠٧. وتعهدت المانيا بعدم الحصول على اي نوع من الامتيازات في منطقة النفوذ الروسي مقابل تعهد روسيا بعدم عرقلة التجارة الالمانية في المناطق الاخرى من بلاد فارس وتعهدت المانيا بعدم معارضتها لرغبة روسيا في مد خط حديدي بين طهران وخانقين لكي يتم الاتصال مع سكة حديد بغداد.

٥٤ - المصدر نفسه، جـ ٥ رقم ٣٤٧.

55 - British Documents Vol 10/No 545.

56 - Ibid.

57 - Novaua Vremia 1 - 1 1914.

وخلال عام ١٩١٤ حصل اصطدام في بلاد فارس بين الهيئات الدبلوماسية الالمانية والروسية الى درجة ادت الى اضعاف العلاقات الالمانية الروسية الى درجة كبيرة. وكما هو معلوم كان من اهداف السياسة الالمانية في فارس في هذه الفترة اثارة الخلافات بين روسيا وانكلترا، هذه السياسة التي ادت الى نشاط العناصر المؤيدة لالمانيا في كل من البلدين، فعلى سبيل المثال صرح احد زعماء «اتحاد الشعب الروسي»* في مجلس الدوما: على الحكومة الروسية ان لاتسعى الى التقرب من انكلترا من اجل الحفاظ على الصداقة التقليدية مع المانيا.(٥٨)

ان حسابات الامبريالية الالمانية حول حياد انكلترا بصورة دائمة في الحرب الاوربية كانت تعتمد بدرجة قوية على اساس وجود الخلافات الانكليزية ـ الروسية الحادة في فارس، اذ ساعدت هذه الخلافات بدورها على قيام الحرب العالمية الاولى لاعتقاد دول المحور بالفكرة القائمة على اساس ان انكلترا سوف لاتكون في جانب روسيا في حالة نشوب الحرب، ومن ناحية ثانية فان التناقضات الالمانية ـ الروسية عززت طموحات انكلترا لاستغلال الجيش الروسي من اجل تحطيم خصمها الخطر جدا وهو المانيا، على ان التناقضات الانكليزية ـ الروسية كانت قد خفت عند قيام الحرب العالمية الاولى والتي اسهمت فيها الدولتان كحليفتين ضد المانيا.

---

* اتحاد الشعب الروسي: منظمة رجعية موالية للقيصرية تعمل ضد الحركة الثورية واثارة الصراعات القومية داخل روسيا.

58 - Raich - 24 - IV - 1914 -